فلسطين قضية السلام العالمي

Cattan, Henry; *The Palestine Question,* London, New York, and Sydney: Croom Helm, 1988, X + 407 Pages.

يقتضي التعريف ببعض الكتب التعريف بمؤلفيها، لتبيان قدرتهم على ما يفتون به ومدى مصداقيتهم وحقهم في هذا. والكتاب الذي بين ايدينا من هذا النوع. فالمؤلف، وهو رجل قانون دولي، حجة في القضية؛ اذ ولد في القدس، ومارس المحاماة في فلسطين، وقام بتدريس القانون في مدرسة القانون في القدس. وفي العام ١٩٤٦، أدلى بشهادته للجنة الانجلو ـ اميركية لتقصّي الحقائق حول القضية الفلسطينية. وفي العام ١٩٤٧، تولّى عرض القضية في الدورة الاستثنائية الثانية للجمعية العامة للامم المتحدة، نيابة عن اللجنة العربية العليا، ومثّل عرب فلسطين خلال الدورات العادية للجمعية في العامين ١٩٤٧ و١٩٤٨. كما عيّنته الجامعة العربية، في العام ١٩٤٨، لاجراء مناقشات مع وسيط الامم المتحدة بشأن القضية، الكونت برنادوت. وله كتب عدة في القضية الفلسطينية وفي الشؤون العربية. وكل ذلك، وكثير غيره، يؤكد ان له الحق في ان يتكلم في الموضوع، كلام العارف الخبير به.

وكتابه، بالفعل، محيط بالقضية، يعالج كل جوانبها في أجزائه الاربعة: «خلفية القضية» و«انتفاضة ١٩٤٨ ونتائجها وعقابيلها»، و«مشكلة القدس»؛ الطريق للسلام»، علاوة على التذييلات. وفي المقدمة يؤكد المؤلف، بحق، ان القضية تشكل احدى القضايا الاكثر تفجراً واستعصاء على السيطرة، وانها تهدد ليس فقط استقرار المنطقة، بل سلام العالم كله. والكتاب موجّه لتبديد الجهل المحيط بها، خاصة في اوروبا وأميركا، والذي يرجع السبب فيه الى أمرين: الاول، التشويه والتضليل النظاميان من قبل الصهيونيين ودعايتهم، التي يقترن بها اخفاء تاريخ فلسطين، والذي ظل طوال ١٨٠٠ سنة وحتى وقت قريب تاريخاً عربياً على وجه الحصر؛ والثاني نابع من الاول، وهو ان اسرائيل ظلت، منذ قيامها، تتوسع بقوة السلاح؛ وعقب كل مرحلة من مراحل هذا التوسع، تدعو الى التعقل والتفاوض، وان يغدو التوسع الجديد اساساً للتفاوض المقترح من موقع القوة الذي يتجاهل الظلم الذي ترتب على العدوان السابق.

والجزء الاول من الكتاب يقدم خلفية القضية، ويتناول وعد بلفور، والانتداب البريطاني على فلسطين، وقرار الامم المتحدة بتقسيمها الى دولتين، عربية واسرائيلية. وفيه يؤكد ان الكنعانيين هم أول سكان معروفين لفلسطين، وانهم استوطنوها بعد سنة ٣٠٠٠ ق. م. وبنوا مدنا زاهرة، واقاموا اقتصاداً قائماً على الزراعة والتجارة، وان التوراة تسمي المنطقة «أرض كنعان» و«بلاد الكنعانيين»، وان القدس كانت من بين مدنهم. وقد جاء الفلسطينيون القدماء والاسرائيليون الى ارض كنعان في زمن متعاصر، في الالف سنة الثانية ق. م. اما الفلسطينيون المعاصرون، فهم ذرية الكنعانيين والفلسطينيين القدماء. ويوضح المؤلف انه في حين ساد السلام بين الكنعانيين والاسرائيليين، فانه لم يقم بين الاخيرين وبين الفلسطينيين القدماء. ويستعرض المؤلف وحدة القبائل الاسرائيلية الاثنتي عشرة في مواجهة اعدائهم، ثم قيام مملكتين لهم، وبعد ذلك انهيارهما، تحت ضغط الآشوريين. وبعد ذلك، اصبحت السيادة على فلسطين للآشوريين والمصريين والبابليين. ثم يستعرض المؤلف، غزو الاسكندر الاكبر لفلسطين، ومن بعده الرومان، ثم جاء الفتح العربي، لينتهي الامر بها للامبراطورية العثمانية، ثم انسحاب الاتراك منها في الحرب العالمية الاولى، لتقع تحت الانتداب البريطاني؛ وكيف ان بريطانيا